الوحدة الوطنية الفلسطينية
واقعها وكيفية اجتراحها

الدكتور سعيد حمود

مدخل : لا عجب اطلاقا ان تكون قضية الوحدة الوطنية ، اكثر القضايا هيمنة والحاحا على الحوار الفلسطيني ، في مختلف اصعدته واجوائه . ولا عجب ايضا أن تكون ساحات بحث الوحدة الوطنية مرتعا للمزايدات والتخريجات ربما يعجب في حالها من كان بعيدا عن واقع منظمات العمل الفلسطيني ، وعن العقد ذات الاثر العميق المدى ، الذي تراكم فيه عبر السنوات المريرة الماضية . ربما يستغرب من عجز عن قراءة الواقع ، قرائنه ومدلولاته ، ومن تعلق بأهداب أمل يكاد ان يكون سرابا . فالوحدة الوطنية الفلسطينية هي ام القضايا في العمل الفلسطيني ، وهي مفتاح المخرج من المأزق ، اذ أن الشرذمة ، والضياع الناجم عنها ، ما هما الا صورتين خطيرتين من صور المأزق الخانق والقائم حاليا في اطار حركة المقاومة الفلسطينية . على أننا لا نقول ذلك في ظل وهم ، ولو للحظة واحدة ، بأن تحقيق الوحدة الوطنية ما هو الا الحل السحري لكافة معضلات العمل الفلسطيني . نقول فقط ان عملية ولوج المحطة الاولى على طريقها الطويل قد تعني انعتاق عقلية منظمات العمل الفلسطيني ، من شوائب ومعيقات عديدة كبلتها بل وشلتها ردحا طويلا من الزمن . كذلك فان تخطي العقدة الاولى (المؤلفة من عقد يصعب حصرها) ولو بخطوة واحدة قد تكون مؤشرا عميقا الى بداية تغيير جذري والى بداية حل ، تتحلل بعده العقد واحدة تلو الاخرى . لماذا تصعب ، اذن ، الخطوة الاولى ؟ ولماذا يبدو العمل الفلسطيني وكأنه قد كتب عليه ان يظل مراوحا في مكانه ، عاجزا عن اداء مهامه التاريخية ، مترددا في خوض نضاله الطويل المضني والشاق ، الذي تبدو شروط خوضه الموضوعية والتاريخية متوفرة وجاهزة ؟ هذا ما نحاول الاطلال عليه ، واستشفاف حقائقه في البحث التالي . واكثر من ذلك وحتى تقترب هذه المحاولة من جدواها ولنقل ، مردودها الكامل ، فانها بعد سبر اغوار مواقف المنظمات قدر الامكان، ستعمد الى تلمس بعض الجوانب والقضايا التي قد تعين العمل الفلسطيني على اجتراح معجزة الخطوة الاولى .

اولا : استعراض موجز للتطورات الاخيرة في قضية الوحدة الوطنية

١ ــ قبل انعقاد المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطيني الاخيرين (من ٦ــ١٠ نيسان ١٩٧٢) بأيام التقى قادة المنظمات الخمس الممثلة في اللجنة التنفيذية، في سلسلة اجتماعات طويلة ومركزة للبحث في شؤون الوحدة الوطنية الفلسطينية او بكلام أدق للخوض مرة اخرى (بعد مرات ومرات عديدة وطويلة ومضنية) في حقيقة مواقف المنظمات وحقيقة استعداداتها للولوج عمليا في خطوات محددة تؤدي الى صيغة يمكن اعتبارها بداية وحدة فعلية بين المنظمات تكون أساسا لوحدة وطنية حقيقية . وبرغم ان هذه اللقاءات تمت تحت ضغط اقتراب موعد انعقاد المؤتمرين ــ الشعبي والوطني ــ ، مما دفع احد الاطراف الى التساؤل ، في بداية الاجتماعات ، فيما اذا كانت هذه من نوع « حمى